الاستلزام الحواري من لغة المنطق إلى المنطق اللغوي

Conversational Implicature from Language of Logic to Linguistic Logic

محمد قويدر رحماني [1]

فاطمة وكال ♣

تاريخ الإرسال: 2020/08/19	تاريخ القبول: 2021/04/28	تاريخ النشر: 2021/09/15

الملخص:

يعالج هذا المقال نظرية الاستلزام الحواري، إحدى أهم مجالات البحث في التداولية، كما سنلقي الضوء على الخلفية الفلسفية التي مهدت لميلاد النظرية ولأهم أنواعها ومبادئها. لقد وضع غرايس المفهوم العلمي لظاهرة إرادة معنى ما عن طريق قول شيء مختلف. وهو بهذا قد فرّق بين ما يقال وضعا واصطلاحا وبين ما يقصد من معان يبعث إليها سياق الحوار.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الاستلزام الحواري، السياق، المعنى .

Abstract:

This article introduces the notion of conversational implicature and explores its philosophical background and the main types and maxims of it . H.P. Grice put the technical notion of conversational implicature to the phenomenon of meaning one thing by saying something else. By introducing this notion, Grice distinguished between what is said, which he recognized as being closely related to the conventional meaning of the words uttered, and what is conversationally implicated, which can be understood from the utterance in its context.

***Key words**: pragmatics, conversational implicature, context, meaning.*

المؤلف المرسل: محمد قويدر رحماني rahmani.mahi16@gmail.com

[1] جامعة الجزائر2، rahmani.mahi16@gmail.com

♣ جامعة الجزائر2، proffati12@gmail.com

مقدمة:

سادت الدراسات التداولية مؤخرا في المجال اللساني بعد أن كانت مكبّا لما استعصى من المشكلات اللغوية، فهي لم تنشأ كتخصص لغوي محض بل كانت نتاج تيارات فلسفية يعود الفضل في إبرازها إلى أعمال فلاسفة اللغة التحليليين بصفة عامة وإلى الفيلسوف البريطاني **جون أوستين (J.L.Austin)** بصفة خاصة. و ما حدا بالفلاسفة إلى دراسة اللغة كونها مَعبَرا إلى فهم الإنسان لنفسه و لعالمه بما أنها الوسيط المُعبّر عنه وعن عالمه، وكانت وسيلتهم المنطق وما يمليه من قضايا. غير أن تقدم البحوث فيها جعلها اليوم تنأى عن الفلسفة والمنطق وتبعث روحا جديدة في نفوس اللغويين عزفت عن اللغة المنطقية الرمزية للفلاسفة إلى استغلال هذه النظرة الحديثة ووضعها في قالب لساني علمي. وتحتل نظرية الاستلزام الحواري- على غرار كبرى المفاهيم المنبثقة عن الفلسفة التحليلية- موقعا مركزيا في منظومة البحث التداولي. وهذا يجعلنا نتساءل عن الأصول النظرية المنطقية والخلفية المعرفية الثاوية وراء هذه النظرية، وكيف امتدت إلى الدرس اللساني التداولي لتصير أحد أعمدته؟ و ماهي مظاهر تجسدها في الحوارات اليومية؟

2. مفهوم الاستلزام الحواري:

يقصد الفيلسوف اللغوي هاربرت بول غرايس (Grice Herbert Paul) بالاستلزام الحواري الفرق بين ما يقوله الناس في حواراتهم وبين ما يقصدونه. ويأتي اهتمام غرايس بهذه المسألة من خلفية انتمائه إلى مدرسة الفلسفة التحليلية التي أنشأت فرعا جديدا من الفلسفة يسمى فلسفة اللغة، تعنى بالمعنى المقصود أو معنى المتكلم، وأنه بالإمكان تفسير معنى القول من خلاله. يَتَمَثلُ مبتغى غرايس من مشروعه في التَوَسُلِ بقصد المتكلم لإدراك معنى القول، وهو ماعَمِلَ عليه في مقالاته للسنوات التالية: 1957، 1968، 1969، 1975. إن مفهوم الاستلزام الحواري ثمرة لسعي متواصل شكّل في مجموعه نظرية هامة تعد التداولية حجرا أساسا في بناءها. وقبل أن نخوض في المفهوم العلمي لهذه النظرية يجدر بنا الإحاطة بالمفاهيم التي ارتكز عليها غرايس في هذه المسألة ومثّلت نقطة البداية بالنسبة إليه. إنّ أول شيء استوقف غرايس في هذا المجال هو المعنى، فبنى نظرية في هذا الشأن

تقوم أساسا على التفريق بين المعنى الطبيعي (Natural Meaning) وبين المعنى غير الطبيعي (Non Natural Meaning).

1.2 المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي:

يعد مقال غرايس (المعنى، Meaning) من أول أعماله التي تنظر إلى اللغة نظرة فلسفية قائمة على المنطق وبلور فيه نظريته للمعنى، غير أن هذه النظرية لا تُعامل في الغالب على أن لها صلة مع نظريته الحوارية، لكن المتمعن في العلاقة يجد ثمة رابط متعلق بوصف المعاني التي تجري بين البشر في تواصلهم وبالتالي" فإن لنظرية المعنى علاقة بنظرية الاستلزام الحواري كونهما تُفسران كيف يمكن للتواصل أن يتحقق في غياب الوسيلة التواضعية للتعبير عن الرسالة المقصودة".[1] وعليه يمكن استثمار أبعاد هذه النظرية في إثراء نظرية المحادثة.

إن أوّل ما خاض فيه غرايس هو التعرض للمسألة المعضلة ألا وهي مفهوم المعنى. غير أننا لا نجده يقدم تعريفا صريحا للمعنى، بل انطلق من أمثلة أعطى من خلالها الصيغة المنطقية للمعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي وفيما يأتي بعض هذه الأمثلة:

1. تعني تلك البثور الإصابة بالحصبة.
2. تعني تلك الرنات الثلاث للجرس أن الحافلة ممتلئة.

تمثل الجملة (1) صورة عن الدلالة الطبيعية حيث تكون العلاقة بين الدال والمدلول علاقة غير خاضعة لأي شيء خارج عنها، فالبثور (أي الدال) تدل على الحصبة (أي المدلول) دلالة لا تنفك عنها، كما أن الحصبة تستلزم الحصبة فقط. يمكن صياغة (1) على الشكل الآتي: (س= الدال، ص= المدلول)

"(س) يعني أن (ص) و (س) يعني أن (ص) يستلزم(ص)"

من مميزات هذا النوع أنه لا يمكن إلغاء ما يعنيه (س)، بحيث يستحيل أن تكون عبارة مثل:

تعني تلك البثور الإصابة بالحصبة، ولكنه غير مصاب بها.

كما أن الدلالة الطبيعية تحيلنا على المعنى الواقعي لها والمجسَّد في الإشارات الموجودة في التركيب.

في مقابل هذا، تمثل الجملة (2) صورة عن الدلالة غير الطبيعية، حيث يكون فيها الدال مرتبطا بالمدلول بعلاقة غير سببية. فمعنى وجودِ الرنات الثلاث امتلاءُ الحافلة ليس معنىً ضروريا، بل هو مما اتفق عليه مجموعة من الناس، بحيث جعلوا امتلاء الحافلة سببا لوجود الرنات الثلاث للجرس. يمكن صياغة (2) على الشكل الآتي:

(س) تعني أن (ص) و (س) يعني أن (ص) لا يستلزم بالضرورة (ص)

إن العلاقة بين الدال (الرنات الثلاث) والمدلول (امتلاء الحافلة) غير ضرورية بحيث يمكن إلغاء ما يعنيه س، فمن المحتمل ورود العبارة الآتية:

"تعني الرنات الثلاث للجرس أن الحافلة ممتلئة لكنها في الحقيقة غير ممتلئة لأن السائق أخطأ"[2].

كما أن العلاقة بينهما قصدية أيضا، أي أنها تابعة لقصد الواضع، فإذا كان المقصود بالرنات الثلاثة امتلاء الحافلة يمكن أن يقصد بها انتهاء الوقت في مباراة رياضية، لذا فالدلالة غير الطبيعية تعتمد أساسا على فهم قصد المرسل ونيته، "فإذا عنى شخص معنى غير طبيعي عن طريق س فإن ذلك يساوي تقريبا: قصد الشخص من العبارة "س" أن تحدث أثرا ما في السامع عن طريق تعرف السامع على نية المتكلم".[3]

يتأتى المعنى غير الطبيعي أو المعنى المتضمن في التواصل اللفظي بشيئين: أما أحدهما فهو إدراك القصد الإخباري للمتكلم وأما الآخر فإدراك القصد التواصلي له، يتمثل القصد الإخباري للمتكلم (Informative Intention) للقول في إعلام السامع بشيء ما وهو يساوي التلفظ بجملة ما، في حين أن القصد التواصلي (Communicative Intention) هو الهدف من إعلامه بهذا الشيء.

إن ما يفرق المعنى غير الطبيعي عن المعنى الطبيعي هو فكرة الاصطلاح أو المواضعة (Convention)، ففي الجملتين (1) و(2)، ليس من الاصطلاح في شيء أن البثور تعني الحصبة، بيد أن دلالة الرنات الثلاثة للجرس مسألة اصطلاحية محضة. نستنتج مما سبق أن الدال يرتبط ظهوره ارتباطا سببيا أو وجوديا بموضوعه في الدلالة الطبيعية، ويفتقر في الدلالة غير الطبيعية إلى اتفاق بين المستعملين على تلك الدلالة.

ومما يُميز المعنى غير الطبيعي أيضا أن عدد الاستنتاجات التي يمكن أن تتولد عنه لا حصر لها، إلا أن ما اهتم به غرايس –وهو أمر منطقي- هو المعنى المقصود من طرف المتكلم أي ما

هي الرسالة التي يريد المتكلم إيصالها من خلال كلامه. لهذا جاءت خطوة غرايس التالية لتوضّح العلاقة بين معنى الجملة (المعنى الطبيعي الملازم لها) ومعنى المتكلم (المعنى غير الطبيعي).

2.2 معنى الجملة ومعنى المتكلم:

يشرح غرايس نظرته لمعنى الجملة (Sentence Meaning) ومعنى المتكلم (Speaker's Meaning) بكيفية بسيطة في مقال 1968، معنى المتكلم معنى الجملة ومعنى الكلمة (Utterer's meaning, sentence-meaning and word-meaning) فيقول:

"يعني المتكلم شيئا بقوله (س)، يمكن أن تصاغ على هذا النحو:

قصد المتكلم من قوله (س) أن يحدث أثرا ما (ص) في المستمع معتمدا على إدراك المستمع لمقصده".[4]

إن أول خطوة خطاها غرايس في هذه النظرية هو تأكيده على دور قصد المتكلم في عملية إدراك المعنى، ولرصد ما يربط بين مقاصد المتحاورين وبين معنى ما يقولونه "شرع غرايس في البحث عن العلاقة التي تربط بين (أ) تصور المعنى الذي يتعلق بأن شخصا ما عند نقطه كذا وكذا كان يعني كذا وكذا أي ما سماه بالمعنى غير الطبيعي وبين (ب) تصورات المعنى التي تتعلق بالقولين: (1) بأن العبارة ما تعني كذا وكذا (2) بأن كلمة أو كلاما ناقصا يعني كذا وكذا".[5]

خلص غرايس من خلال هذه التصورات لمعاني الحوار أنها تنقسم إلى:

1.2.2معنى الجملة:

المقصود بمعنى الجملة عند غرايس "ما يتضمنه ملفوظ الخطاب من معان صرفية ونحوية ومعجمية متحصلة من تعالق المفردات وتضام الكلمات، والتي يشير مجموعها إلى النسبة الخارجية (الموجودة خارج الذهن)"[6]، إذن فهي المعاني المفهومة من تركيب الجملة مباشرة مثل:

أول نوفمبر هو عيد الثورة في الجزائر.

فلا يحتاج فهم معنى هذه الجملة إلى استدلالات منطقية أو اعتماد على قواعد تخاطبية بل يقتصر فهمها على فهم ظاهرها فيكفي السامع معرفته باللغة دون إدراكٍ لأي ملابسات خارجية.

2.2.2 معنى المتكلم:

وهو المعنى الخاص المقصود من طرف المتكلم، ويقسمه غرايس إلى نوعين، فيمكن للمتكلم إما أن يضمّن كلامه معنىً مستعينا في ذلك بالعرف اللغوي، وإما أن يضمنه معنىً مستعينا بالسياق الذي يرد فيه عن طريق قواعد الحوار أو بوسائل أخرى كالإيماء وتعابير الوجه، ففي الحالة التي يتوصل إلى المعنى المستلزم عن طريق القواعد اللغوية فهذا استلزام عرفي (**Conventional Implicature**) وفي الحالة التي يتوصل إلى المعنى المستلزم عن طريق قواعد الحوار و ظروف إنتاج القول فذاك استلزام حواري (**Conversational Implicature**) وبيان ذلك فيما يأتي:

3.2 الاستلزام العرفي:

"هو ما تدل عليه الجملة دلالة زائدة لا تندرج في النسبة الخارجية للجملة، ويتولد المعنى المستلزم عرفيا عن طريق معان ثابتة في المجتمع لكلمات معينة"[7] .وهو "المعنى الملازم للكلمات التي يتلفظها المتكلم"[8] ويدل عليها دلالة لازمة للدلالة الوضعية، لنتأمل "حتى" في الجملة الآتية: حتى سعيد يحب نورة.

تعني هذه الجملة بالوضع أن سعيدا يحب نورة ، ولكن هناك في الجملة معنى زائدا لا يدخل في النسبة الخارجية وهو:

- المعنى الزائد الأول: هناك أشخاص آخرون يحبون نورة.
- المعنى الزائد الثاني: من بين هؤلاء الأشخاص، سعيد هو الأقل توقعا لأن يحب نورة .

الجملة:	ما تعنيه الجملة حرفيا:	ما يلزم منها: 1	ما يلزم منها: 2
حتى سعيد يحب نورة	إثبات حب سعيد	ليس سعيد الوحيد	سعيد هو الأقل

	لنورة	الذي يحب نورة	توقعا لأن يحب نورة
إطلاق اللفظ	الدلالة الوضعية	المعنى اللازم	

و هكذا فإن العبارة السابقة دلّت على معنى لا يدخل في النسبة الخارجية، ولكنه مفهوم من بعض العناصر اللغوية المنطوقة التي تؤلف جزءاً من صيغتها ، وهو العنصر (حتى) الدّالُ على"أن ماقبلها جزء مما بعدها لاختصاص ما تقع عليه إما لرفعته أو دناءته"[9]. وطبقا لغرايس فإن السبب في عدم عدّ هذا المعنى من قبيل معنى الجملة هو أن من يستخدم العبارة السابقة لم يلزم نفسه بأنه قال سعيد هو الأقل توقعا لأن يحب نورة.

إن أهم مايُميز الاستلزام العرفي هو"أنه لا يفسر في ضوء ما يعرف بأصول التخاطب maxims of conversation بل إن معناه مفهوم بغض النظر عن السياق الذي قيل فيه".[10] وبعبارة أخرى الاستلزام العرفي ليس منطوقاً؛ لأن في الجملة معنى زائداً عن دلالتها الوضعية المنطوقة، مرتبطاً بالمعنى الوضعي لبعض الأدوات، مفهوماً مستخرجاً من هذا الترابط في التركيب.

4.2 الاستلزام الحواري:

يعني غرايس بالاستلزام الحواري "ما يتضمنه الحوار من معانٍ قارة لا يكشف عنها الكلام الملفوظ... وهو استدعاء العقل لمجموع التوقعات التي يسبرها الملتقى من مقول النص بالاعتماد على قواعد تخاطبية مخصوصة وليس بالرجوع إلى المعاني العرفية أو الاستنتاجات المنطقية"[11] ويُتوصل إلى المعنى المستلزم حواريا –إضافة إلى معنى الجملة- بالاعتماد على أصول التخاطب، وينبني مفهومه على "افتراض مفاده أن إسهامات المتخاطبين مترابطة بعضها ببعض، ومحكومة بما يعرف بأصول التعاون (maxims of cooperation) التي تقتضي أن كلا من المتكلم وسامعه يسعيان إلى بلوغ تخاطب ناجح".[12]

إذا ما رجعنا إلى غرايس فإننا لا نجده يقدم تعريفا محددا للاستلزام الحواري ،وإنما ساق المثال الآتي وانطلق منه لتقريب وجهة نظره: "لنفترض أن (أ) و(ب) يتحدثان عن صديق لهما (ج) الذي يعمل حاليا في البنك. يسأل (أ) (ب) عن أحوال (ج) في عمله، فيجيب (ب): تسير بشكل جيد، على ما أظن، إنه يحب زملاءه، وهو لم يدخل السجن بعد.

هذا الحوار مثال عن المعنى الذي يفهم لا من مجرد التركيب اللغوي، بل ثمة عوامل أخرى تسهم في ذلك، حيث يقوم المستمع بهذه العملية:

الجملة:	ما تعنيه الجملة حرفيا:	ما يلزم منها:
لم يدخل السجن بعد	نفي دخول الشخص إلى السجن.	يقوم هذا الشخص بأعمال مشبوهة تجعله معرضا لدخول السجن.
إطلاق اللفظ	الدلالة الوضعية	المعنى اللازم

ويوضح غرايس هذا بقوله: إذا افترضنا أن هناك شخصا ما س ينوي بقوله (أو بمسكوته) لـ ص قصدا ما فيقال إنه صدر عن استلزام حواري إذا كان:

- " س يراعي في خطابه لـ ص قواعد الاستلزام الحواري أو على الأقل مبدأ التعاون.
- يفترض أن س على وعي كاف بأن ص هو المقصود في الحوار. وأن ما يوجهه س لـ ص في حواره يتوافق وهذه الفرضية.
- يعتقد س ويتوقع بأن ص يعي من س أنه يعتقد أنه بمقدور السامع إدراك الافتراض الثاني "[13]

تبين هذه الخطوات أن إدراك الاستلزام الحواري هو نتيجة لتفكير منطقي يراعي قواعد الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون ويتوقف هذا الإدراك على الشروط الآتية:

1 - المعنى العرفي للكلمة.

2 - مبدأ التعاون وقواعد المحادثة.

3 - السياق اللغوي.

4 - الخلفية المعرفية.

5 - حقيقة أن العناصر من 1 إلى 4 متوفرة في السامع والمتحدث معاً.[14]

يركز غرايس في هذه الحالة على مفهوم التعاون على افتراض أن المخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون، ويتوقعون أن يسهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل أقواله. وفي ظل هذا المفهوم اجتهد غرايس في وضع مجموعة من المبادئ توجه الحوار وتجعله أكثر إيجابية ونجاحا وهو موضوع النقطة الآتية.

3. مبادئ الاستلزام الحواري:

بنى غرايس منطق الحوار على فكرة أن المتحاورين هم أشخاص عقلاء أي أنهم يتقيدون بمبدأ عقلاني منطقي عام عرف باسم المبدأ التعاوني،(The Cooperative Principle) وصاغ غرايس هذا المبدأ على النحو الآتي:

"اجعل مساهمتك في الحوار بقدر ما هو مطلوب. مراعيا الظرف الذي تجري فيه والغاية أو الاتجاه الذي يقود مسار التحادث الذي أنت منخرط فيه".[15]

ولكي يحقق المتكلم هذا المبدأ العام لابد أن يتبع تسعة قواعد جمعها غرايس في أربعة فئات، هي: الكم والكيف والعلاقة والكيفية:

1 - قاعدة الكم: تتعلق بمقدار المعلومات الذي يقدم وهي على شقين:

أ - لتكن إفادتك على قدر الحاجة (بالنسبة إلى أهداف الحديث الجاري).

ب -لا تجعل إفادتك تتجاوز الحد المطلوب.

2 - قاعدة الكيف: صورتها العامة "حاول أن تجعل إفادتك صادقة ويندرج تحتها:

أ - لا تقل ما تعلم خطأه.

ب -لا تقل مالا تعلم عليه دليل.

3 - قاعدة العلاقة: لتكن هناك علاقة بين الإفادة وبين المقام.

4 - قاعدة الكيفية: صورتها العامة كن واضحا، وتندرج تحتها قواعد عديدة ذكر غرايس منها أربعة وأشار إلى أنه يمكننا أن نضيف إليها قواعد أخرى، أما التي ذكرها فهي:

أ - تجنّب الالتباس .

ب - تَجنّب الغموض.

ج - كن موجزا.

د - كن مرتبا.[16]

تحدد هذه القواعد ما يجب على أطراف الحوار الالتزام به لكي يتحادثوا بطريقة متعاونة وفعالة حتى يتحقق في كلامهم الصدق والوضوح ومناسبته للمقام وفي الوقت نفسه يحمل من الإفادة، فبقدر استثمار المتكلم كل هذه القواعد وتطبيقها يكون قد حقق مبدأ التعاون العام ولكن ليس هناك من مانع إذا خرق بعضها، إذ العلاقة باقية بين هذه القواعد ومبدأ التعاون العام بإحدى صورتين:

1- بمقدور المتكلم أن يلتزم بهذه المبادئ أو أغلبها.

2- يمكن للمتكلم أن يستغل المبادئ وهذا بخرقها أو انتهاك بعضها.[17]

فالمتكلم في كلتا الصورتين يراعي المبدأ العام للتعاون، فهو حين يلتزم بقواعد المحادثة ولا يخرقها تكون مراعاته له واضحة. أما حينما ينتهك هذه القواعد أو بعضها فإن مراعاته لمبدأ التعاون ليست جلية، وإنما هي على مستوى أعمق . يوضح المثال الآتي هذا الكلام:

سعيد: أين مراد؟

محمد: هناك سيارة حمراء أمام منزل نورة.

إن مساهمة محمد، إذا اعتبرنا المعنى الحرفي، قاصرة عن إجابة سؤال سعيد، ولهذا فهي تخرق قاعدتي الكم والعلاقة، وبالتالي فمحمد غير متعاون في رده في الظاهر لكن السامع سعيد رغم ما يظهر من عدم تعاون محمد يحاول أن يؤول إجابته على مستوى أعمق. يفعل ذلك بالربط بين مكان مراد ومكان السيارة الحمراء وهكذا يصل إلى الاستنتاج أنه إذا كان مراد يملك سيارة حمراء فإن غالب الظن وجوده في منزل نورة.

إن تأويل النص سواء أثناء السؤال أو الإجابة يوقع أطراف الحديث في مستوى أعمق من الاجتهاد و التفسير، و هذا ما جعل غرايس يؤكد على تقيد المتكلم و السامع على حد سواء بهذه القواعد على مستوى أعمق"[18].

ثمة سؤال آخر يُطرح: ما هو مصدر قواعد المحادثة؟ هل هي قواعد متواضع عليها بحيث نتعلمها كما نتعلم أي آداب عامة، آداب الأكل مثلا؟

يفترض غرايس أن "هذه المبادئ ليست اعتباطية بل إنها تصف الوسائل المنطقية الموجهة للحوار المتعاون"[19]، وإذا كانت كذلك -كونها منطقية- فلا بد من وجود نظير لها في السلوك غير اللساني. يسوق غرايس أمثلة من السلوك غير اللساني عن هذه القواعد يُقابل بها ما هو موجود في السلوك اللساني وهي:

1 - الكم: إذا كنت تساعدني في إصلاح سيارتي فإنني أتوقع أن تكون مساهمتك لا تزيد ولا تنقص عما هو مطلوب، فلو احتجت منك أن تناولني أربعة براغٍ فأتوقع منك أن تناولني أربعة، لا برغيان ولا ستة براغٍ.

2 - الكيف: أتوقع من مساهمتك أن مطابقة لما هو مطلوب، فلو احتجت إلى السكر لتحضير الكعك فلا أتوقع منك أن تعطيني ملحا.

3 - العلاقة: أتوقع أن تكون المعاونة متناسبة مع حاجتي الراهنة، فلا تعطيني كتابا حينما أكون بصدد خلط مكونات الكعك.

4 - الكيفية: أتوقع من الطرف الآخر أن يجعل مساهمته واضحة وأن يقوم بها بطريقة منطقية فلا يضع الحاجيات بعيدة المنال مثلا.[20]

تشير هذه الأمثلة إلى أن المبادئ نابعة من توجه منطقي عام ينطبق على جميع المبادلات المتعاونة، وإذا كانت هكذا فإنها قابلة للتطبيق على نحو عالمي كوني، بما تسمح به الخصائص الثقافية لكل جماعة لغوية،[21] ويتأكد هذا إذا أخذنا في الحسبان كون اللغة ظاهرة إنسانية عامة تنطوي على مبادئ مشتركة بين كافة الجماعات اللغوية دون التغاضي عن المميزات المرتبطة بكل جماعة لغوية على حدة.

يضاف إلى ما سبق أن اهتمام اللغويين بهذه المبادئ ناجم عن أنها تولد استنتاجات تتجاوز المحتوى الدلالي العرفي، فالاستلزام الحواري ناجم عن "استنتاج معتمد على محتوى ما قيل، وافتراضات تتعلق بالطبيعة التعاونية للتفاعل اللغوي".[22] يتضح مما سبق أن غرايس

أطلق مفهوما تداوليا خاصا به هو مبدأ التعاون ليقصد به توخي المتكلم أحسن كيفيةٍ تواصلية لبلوغ مراده من السامع ، لكن غالبا ما يجري الخلط بين استعمال غرايس لمفهوم التعاون وبين الاستعمال اليومي العام له، فاقتضى المقام أن أبين المعنى الصواب لهذا المفهوم والذي كان هو المقصود منه عند واضعه.

من المعلوم أن عمل غرايس قد أضفى الكثير من الأهمية على مجال التداولية وأسهم في تطويرها لتصبح ميدانا لسانيا مستقلا. فقد كان مدار الدراسة التداولية هو الأفعال الكلامية بنوعيها المباشرة وغير المباشرة و أُستحدِث مفهومُ أنه يمكننا أن ننجز أشياء بالكلام، حيث تعتبر اللغة فعلا مثلها مثل باقي ما نفعله كفتح الباب و إغلاق النافذة. كما تجاوز الاهتمامُ حدّ معنى الجملة إلى معنى القول، فلا نقتصر على المعنى المقابل للجملة فحسب لفهمها، بل قد يُعبَّر عن المعنى المقصود بأفعال كلامية غير مباشرة شتّى. وقد كانت جهود غرايس مسايرة لهذا الاتجاه الذي لا يتوقف عند ما يُفهم من الصيغة اللسانية أو البنية اللغوية، إلا أنه تناولها من زاوية أخرى هي الفرق بين ما يُقال و ما يقصد، وكيف يمكن للمتحدث أن يولّد المعاني الضمنية و يفترض أن السامع على مقدرة لفهم المقاصد المتوخاة من كلامه. ويحكم هذه العملية التواصلية مبدأ التعاون الذي طرحه غرايس قاصدا به المعنى التقني للمصطلح، فلم يكن مراد غرايس منه المعنى الأخلاقي أي المساعدة، و إنّما هو "الأثر الناجم عن تحسين التواصل وتسهيل الفهم الذي يجنبنا الحاجة إلى طلب التوضيح و استعمال وسائل فوق-تواصلية"[23] . فالمتكلم الذي لا يدع للسامع مجالا للاستفسار عن مقصوده من الكلام يكون متعاونا بالمعنى التداولي ولا حاجة للنظر في مضمون ما قاله.

4. أنواع الاستلزام الحواري:

سبق بيان أنَ الاستلزامات الحوارية تتولد بشكلين مختلفين اعتمادا على العلاقة التي يأخذها المتكلم إزاء مبادئ الحوار، فبإمكان المتكلم أن يراعي مبدأ التعاون العام إضافة إلى القواعد الحوارية، أو أن يراعي مبدأ التعاون العام ويخرق القواعد لحاجة في نفسه يريد إيصالها للملتقى. انطلاقا من هاتين الحالتين، قسم غرايس الاستلزام الحواري إلى نوعين، الاستلزام الحواري المعّمم والاستلزام الحواري الخاص. فإذا كان المتكلم مراعيا

(Observing) للمبادئ بشكل مباشر فهو هنا هو استلزام معمّم **(Generalized Implicature)** وإذا كان غير مراعٍ (Flouting) وخرق أحد هذه المبادئ فهو في هذه الحالة استلزام خاص **(Particularized Implicatures)**.[24]

1.4 الاستلزام الحواري المعّمم:

يستنبط هذا النوع بمعزل عن السياق "ويتولد من خلال احترام المتكلم لقواعد الحوار فقد يعتمد المتكلم على المتلقي في فهم مقصوده عن طريق بعض الاستنتاجات المباشرة انطلاقا من أن المتكلم متبع للقواعد".[25]

ومرد هذه الاستنتاجات إلى "اختيار المتكلم لكلمات تعبر عن قيمة واحدة من بين تدرج للقيم، يتضح هذا الأمر جليا في مصطلحات تستعمل التعبير عن الكم: كل، معظم، كثير، بعض، قليل، دائما، غالبا، أحيانا"[26]. كما أن لها معنى لازما ، "فعند ثبوت أية صيغة في التدرج فإنه يتم نفي كل الصيغ الأعلى في التدرج، أي أن الأقل يقتضي نفي الأكثر"[27] ففي قولنا حضر بعض الطلاب،ينتفي حضور كل الطلاب باستعمالنا لكلمة أقل منها في تدرج الكم وهي بعض. ويسمى هذا النوع بالاستلزام المعمّم لأن المعنى المستلزم يقترن بالألفاظ تلك في كل السياقات، كما أنه ينطبق على القواعد الأربعة التي وضعها غرايس ومثال ذلك باختصار:

1) الكم:

سمير: كم ولداً عندك ؟ يستلزم	**لا أعلم عدد أولادك وأريد أن أعرف**
مراد: خمسة أولاد. يستلزم	**خمسة أولاد فقط، لا أقل ولا أكثر**

2.4 الاستلزام الحواري الخاص:

يعرف هذا الصنف بكونه يتطلب وجود سياق حالي معين وهو ينشأ عندما يعمد المتكلم إلى خرق إحدى قواعد الحوار لأهداف تواصلية "كما أنّه متوقف على معرفة المتلقي بظروف

وأحوال مخصوصة ترافق عملية الحوار، فكلما حصل المتلقي على معلومات عن السياق تكونت أمامه خطوط قوية لفهم الخطاب"[28]

ويعتبر هذا النوع أكثر شيوعا من سابقه لأن السياقات متغيرة من جهة ولأن المتكلم لا يمكنه قول كل شيء من جهة أخرى. وفيما يأتي صور عن خرق مبادئ المحادثة التي تولّد الاستلزام الحواري الخاص:

1) الكيف:

- الطالب: تقع دمشق في إيران، أليس كذلك يا أستاذ؟
- الأستاذ: وتقع القاهرة في المغرب على ما أظن.

يريد الأستاذ أن يُبصِّر الطالبَ بالخطأ الذي قاله لكن إجابته عن سؤال الطالب في الظاهر غير صادقة وهو بذلك يخرق قاعدة لا تقل ما تعلم خطأه، وهذا يدفع الطالب إلى الاستنتاج بأنه مثلما لا تقع القاهرة في المغرب فإن دمشق لا تقع في إيران.

2) الكم:

- الحرب هي الحرب.
- إذا استقال سمير من عمله استقال.

يبدو هذان المثالان أنهما لا يضيفان أية فائدة للمتلقي ، لأن المتكلم خالف مبدأ لتكن إفادتك على قدر الحاجة،فلم يزد عن تكرار ما قاله دون فائدة ظاهرة، غير أنه يمكن فهم المثالين من خلال العلم بأن المتكلم خرق مبدأ الكم لأهداف تواصلية، فعندئذ باستطاعة المتلقي استنتاج ما يأتي عن المثال الأول: دائما ما تحدث أشياء مروعة في الحرب، وهذه هي طبيعتها...

وعن المثال الثاني: لا أهتم لشأن سمير.

وفي العموم، تشترك هذه الاستلزامات في كونها تستخدم لختم حديث أو موضوع ما مع المعاني الخاصة لها متوقعة على السياق الخاص بها.

3) العلاقة:

إن تحديد خرق هذه القاعدة صعب نوعا ما كما أشار إليه غرايس، لأنه يتوجب على المتلقي إقامة علاقة بين ما قاله المتكلم وبين مقصوده. كما في الحوار الآتي:

(سمير هو عامل بسيط في إدارة قسم اللغة العربية، ومراد أستاذ في الشعر).

سمير: أي نوع من الشعر تدرِّسُه؟
مراد: أُذكر لي اسم شاعر واحد تعرفه.
تستلزم إجابة مراد أنه لا يأبه بالإجابة عن سؤال سمير لأن سمير لا علم له بالشعر أصلا ولا يعرف شاعرا واحدا فكيف به يسأل عما يكون جوابه عسيرا عليه !

4) الكيفية:

يكون الأب مع الأم والأطفال في نزهة فيجري الحوار الآتي:
الأب: سأذهب لإحضار شيء يأكله الأولاد.
الأم: حسنا، لكن لا داعي لـ الميم ثاء لام جيم ألف تاء.
إن تهجئة الأم لكلمة (مثلجات) تخرق أحد مبادئ الكيفية: تجنب الغموض. لكن مقصودها هو أن تتجنب ذكر الكلمة أمام الأطفال مباشرة لأن ذلك سيدفعهم لطلبها.
إن إحدى أهم النقاط التي تتحصل من خلال خرق القواعد الحوارية هي أن هناك طرقا تتجاوز مجموعة القواعد التواضعية لاستعمال اللغة كي نفسرها.[29] بالتالي فهناك حاجة لنظرية في التواصل غير مبنية على أساس المعنى التواضعي أو العرفي.

من خلال الطرق التي تتولد منها الاستلزامات، يقترح غرايس خصائص هامة تمكّن من تحديد ما إذا كان هناك استلزام أم لا، لأن الانتقال من المعنى الحرفي المباشر إلى المعنى المستلزم لا يجري إلا في حالات يتعذر الأخذ فيها بالمعنى الحرفي"[30]. نستطيع من خلال هذه الخصائص تفريق الاستلزام الحواري عن الاستلزام العرفي، حيث إذا انطبقت على عبارة ما يكون المعنى المستفاد منها مستلزما حواريا وإن لم تنطبق فالمعنى مستلزام عرفيا. وبيان هذه الخصائص في النقطة الموالية.

5. خصائص الاستلزام الحواري:

قدم غرايس بعض المعايير التي تميز الاستلزام الحواري عن الاستلزام العرفي والتضمين ونحوه من المعاني المنطقية والوضعية وهي كالآتي:

1 - الاستلزام الحواري يحتاج إلى تأمل ويمكن تقديره (Calculable)

والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام"[31]، وتقوم هذه الخطوات على أساس: "(أ) المعنى العرفي للقول، (ب) مبدأ

التعاون وقواعد المحادثة، (ج) السياق اللغوي و غير اللغوي للعبارة، (د) الخلفية المعرفية، (ه) حقيقة أن العناصر (أ، ب،ج،د) متوفرة في الملتقى والمخاطب"[32] وقد سبق الحديث عن هذه العناصر في مفهوم الاستلزام الحواري.

2 - الاستلزام الحواري ممكن إبطاله أو إلغاؤه، (Concellable, Defeasible)

ويتم هذا عن طريق إرداف العبارة التي تستلزم معنى ما بعبارة أخرى تمنع إرادة المعنى المستلزم كما يمكن للسياق أن يؤدي دورا في إلغائها.[33] يتضح هذا في المثال الآتي:

1. يملك مراد سيارتين.
2. يملك مراد سيارتين لا غير.
3. يملك مراد سيارتين، لا بل ثلاث.

يتولد عن الجملة (1) استلزام في الجملة (2) حيث يمكن إلغاؤه كما في الجملة (3)، "ولعل هذه الخاصية أساسية لأنها تميزه بوضوح عن الاستلزام العرفي الذي لا يمكن إلغاؤه إلا بالوقوع في تناقض"[34] كما في الجملة (4)التي تستلزم (5) عن طريق التضمن ولا يمكن إلغاؤها في (6):[35]

4. قابيل قتل هابيل.
5. هابيل مات.
6. قابيل قتل هابيل، ولكن هابيل لم يمت.

3 - الاستلزام غير قابل للانفصال أو الانفكاك (Non detachability)، "ويقصد غرايس أن الاستلزام له صلة بالمحتوى الدلالي لما يقال وليس بالشكل، بالتالي فلا يمكن أن نفصل الاستلزام عن عبارة ما بمجرد تغيير كلماتها بمرادفات لها"[36]، فكلمة حاول تستلزم أن يكون هناك فشل، أو احتمال للفشل في جملة من مثل:

حاول سمير أن يقود شاحنة.

وهو ما تستلزمه جملة من مثل: سعى سمير لأن يقود شاحنة، جرب سمير أن يقود شاحنة.

4 - الاستلزام غير تواضعي، (Non-conventional)، أي أنه ليس داخلا في المعنى التواضعي للعبارات اللغوية، "فيمكن أن يكون ما يقال صادقا وما يستلزم خاطئا".[37]

5 - الاستلزام ظني (Indetermination)، بما أن التقدير داخل في الاستلزام فإن المعاني

المتولدة عنه مفتوحة في احتمالاتها وهذا ما يجعل الاستلزام ظنيا[38]، فسؤال : كم عمرك؟ قد يستلزم المؤاخذة على سلوك سيء، أو التنبيه إلى نضج الشخص، أو الاستصغار.

كما أضيفت معايير أخرى بعد غرايس وهي:

6 - قابلية التأكيد (Reinforcealble)، أي أنه "في الإمكان إتباع العبارة المستلزمة ما يفهم منها دون الوقوع في الحشو"[39]، مثلا:

- في الغنم السائمة زكاة.
- ليس في الغنم المعلوفة زكاة.
- في الغنم السائمة زكاة، ولا في المعلوفة زكاة.

الجملة الأولى تستلزم الجملة الثانية وفي الجملة الثالثة تأكيد لهذا الاستلزام دون أن يكون هناك تكرار مخل.

تمثل هذه المعايير طريقا لاكتشاف الاستلزام الحواري وتفريقا بينه وبين غيره من الاستلزامات وقد أوجز صلاح إسماعيل إيجابيات هذه النظرية، وذكر منها:

1 - أنها تمكن الباحث عندما تتوافر شروط معينة من نقل عبء التفسير من علم الدلالة إلى علم الاستعمال (أي التداولية)، فعندما يكون الاستلزام التخاطبي عاما، فإنه يميل إلى أن يصبح غير قابل للتمييز عن المحتوى الدلالي.

2 - كما تمكن هذه النظرية علماء الدلالة ألا يحددوا الشحنة الدلالية للكلام بالقيمة الظاهرية، بل يمكن تفسيرها تفسيرا استعماليا (Pragmatically).

3 - تساعد نظرية غرايس على وضع جوانب المضامين الكثيرة من المعنى على طاولة التحليل المعتمد على الاستعمال بوصفها مقتضيات، بدلا من معاملتها بوصفها معطيات حقيقية لعلم الدلالة فهي تمكننا من التميز بين المضامين الدلالية بصورة حقيقية للعبارة والمضامين الاستعمالية فحسب"[40].

4 - يضع بعض الباحثين نظرية غرايس وقواعدها التي تحكم الحوار في مقام أرقى ويرونها نظرية مكتملة، فقد اعتبروا أن " العمل الجبار الذي قام به غرايس في تقعيد التخاطب كان له التأثير الكبير في تحديد المبادئ الرئيسية في عمليات المحادثة وأشكال التواصل بين المتخاطبين وهي مبادئ ساهمت إلى حد كبير في إبراز القيمة التداولية للكلام

وأعطت مفهوما جديدا للمعنى الضمني ولمعنى التأويل والفهم، وعالجت إشكالات المقامات أو السياقات التي كانت تقف في وجه التحليل المنطقي التقليدي معالجةً فتحت الباب أمام توظيف نتائج العلوم المعرفية".[41]

6.خاتمة:

وفي الأخير، نستطيع القول إن غرايس بوضعه لنظرية الاستلزام الحواري قد بدأ عهدا جديدا في علم الاستعمال، فبعد أن نشأت هذه النظرية في مناخ فلسفي نجدها تستقر في الميدان اللساني كاشفة عن الأبعاد الاستعمالية للغة.

لقد أسهم بشكل كبير في مسألة فهم معنى ما يجري بين الناس من تخاطب عن طريق بيان أن كثيرا من دلالات العبارات تكمن- إضافة إلى معناها الوضعي- في ما يحيط بالعبارة من ملابسات.

إضافة إلى ذلك فإن دراسة الاستلزام الحواري تبين ما يمكن للعقل البشري أن يبتكر من طرق تواصلية تتميز بالاقتصاد اللغوي والثراء الدلالي، ويتأسّس هذا النمط من التواصل على سلامة الوضع اللغوي وتوفر القصد من المتكلم ووجود القدرة على الإدراك لدى المخاطب.

*** *** ***

الهوامش

1 ينظر : Levinson, S.C, Pragmatics, Cambridge Universsity Press, 1983, P:100,101

ينظر: Grice, H.P, "Meaning" ,*in Philosophical Review*, Vol.66, N°.3, cornell university (1957), P:377, 378.

2

3 Ibid, p:384.

4 Grice, H.P, "Utterer's meaning, sentence-meaning and word-meaning", in J.kulas et al., *Philosophy, Language and Artificial intelligence*, (1968), P:54.

5 وليد حسين، دلالة الاقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظرية التضمين التخاطبي عند غرايس، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، السنة الأولى ،العدد الثاني2010، ص:05.

6 المرجع السابق: الصفحة نفسها .

7 Bathan Davies, Grice's Cooperative Priciple: Getting the Meaning Across, 2000, P:16.

8 Grice, "Logic and Conversation", in Cole, Peter and Jerry L.Morgan(eds.), *Syntax and Semantics 3*: Speech Acts, New York : Academic Press, 1975, PP 41-58., P:44.

9 موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية،مصر،د.ط، د.ت، ج8، ص:16

10 محمد محمد علي يونس ، مقدمة علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد بيروت، ط1، 2004، ص:48.

11 Davis Wayen , Implicature ,The Stanford Encyclopedia of Philosophie ,ed., Edwar N.Zalta, Stanford University ,(2014).

12 محمد محمد علي يونس ، المرجع السابق ، ص:49.

13 Grice, "*Studies in the way of words*", Harverd University Press,(1995) 4 ed., p:31.

14Grice, logic and Conversation P:50.

15 Grice, Ibid , P:45.

16 Ibid, p45-46.

17 Moelchler Jaques ,In Cognitive Pragmatics (Berlin, 2012) P:405,406.

18 Levison, p:103.

ينظر: Grice, Logic and Conversation,p:46.

19

20 Ibid, p:47.

ينظر: levinson, p:103.

21

22 Levison, p:104.

23 Bernsen, N.O., Dybkjer, H., & Dybkjer, L., "Cooperativity in human-machine and human-human spoken dialogue*", in Discourse Processes*, P: 225, (1996).

24 Grice, Logic and Conversation, p:56.

25 Levinson, p:104.

26 جورج بول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص:73.

27 عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني، مجلة عالم الفكر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ج2،.3/1989 ص:164.

28 محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي، العربي الدار البيضاء، المغرب، ط2. ص:297.

ينظر: Levinson, p:112.

29

30 العياشي أدرواي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان المغرب، ط1، 2011، ص"116.

31 محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص:39.

32 Grice, logic and Conversation, p:50.

33 Ibid, p:57.

34 Levinson, P:114.

35 Levinson,P: 116

36 Levinson,P: 116.

37 Grive, logic and Conversation, p:58.

38 Ibid, p:58.

39 Levinson, p:120.

40 ينظر:صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط) 2005 ص92:.

41 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2006، ص:25.